واقع المرأة الكردية السورية وبدعة النسوية الآبوجية

صبيحة خليل[1]

أولًا: المقدمة

تشكّل صور المقاتلات الكرديات اللواتي أقحمن في محاربة داعش، ببزاتهن العسكرية وأسلحة الكلاشينكوف، فرصةً لتكريس نمطٍ "عسكريٍ" جديد يُعمل على إلحاقه بموجات النسوية في سورية والمنطقة، ويُروَّج له عالميًا. موجة صُنِّعت واعتني بها على مر عقود في مخابر منظومة عسكرية شمولية عابرة لدول المنطقة، مقابل تغييب المشكلات الحقيقية التي تعانيها المرأة السورية في المجتمعات والبيئات الكردية. لا بل أفيدَ من هذه المشكلات ووُظِّفت لتكون قادرة على تكريس فكرة "النسوية الآبوجية"، ومؤخرًا ضربت الموجة بيئات أخرى، لا سيما في مناطق الجزيرة السورية.

ما زاد الطين بلة أن ما يجري أنتج حالًا تشبه القطيعة بين واقع اجتماعي كرسته العادات والتقاليد والموروث الثقافي المميّز ضد المرأة، والواقع الجديد البراق من الخارج، ورحّل إلى أجل غير مسمى الحلول كلها التي كان يمكن لها أن تأتي مع سياق تطور المجتمعات وأحوال التغيير الشامل بُعيد الثورة السورية. ودأب أيضًا على إجهاض أي حراك نسوي كردي جاد، بحكم أن ما بعد العسكرة ألغى ما قبلها، وكتم أنفاس الحراك المدني من خلال ربطه بمنظومته.

استمدت الصورة النمطية الجديدة (العسكرية) للمرأة الكردية مادتها الأولية، النظرية والروحية، من أيديولوجيا عبد الله أوجلان، إذ يجد أتباع أوجلان أن قضايا التمييز ضد المرأة معظمها يمكن حلها عبر ردها إلى نهج المقاومة المسلحة، لذا تُحل مشكلة مثل "زواج القاصرات" بمشكلة أخرى من خلال الزج بهن في صفوف المؤسسات العسكرية، ومن ثم تخلق مشكلة كبرى تفوق طاقة المجتمعات المحلية في التصدي لها.

فرضية البحث حول النسوية الآبوجية تأتي من العنوان "ملامح وتضاريس تشكّل النسوية الآبوجية في سورية"، ستحاول الدراسة الإحاطة بها بصورة معمّقة ومفصّلة، ولا سيما أن هذه

(1) ناشطة سياسية ونسوية، عضوة في فريق الاستشارات الوطنية التي تجريها الحركة النسوية السورية، إضافة إلى أنها عضوة مؤسسة في منظمات سورية عدة.

(العسكرة النسوية) تمتد إلى دول أخرى مثل العراق وتركيا وإيران، إلا أن تركيز البحث بصورة أساس يعنى بالحالة السورية "أنموذجًا"، مع ترك هامش للتقاطعات بما يخدم فرضيات البحث، وبالمقابل سيحظى تفكيك الخطاب النسوي المستخدم في أدبيات PYD/ PKK بحيز وافر لدعم البراهين، وذلك في ضوء الوجه السلمي اللاأيديولوجي، المستبعد من المشهد الواقعي للنسوية السورية الكردية.

وتهدف الدراسة إلى البحث عن أجوبة جادة تخص الغموض الذي يلف هذه القضية في سورية والمنطقة، بمسعى تقديم صورة أكثر وضوحًا وشفافية، صورة قد تكون مدخلًا جادًا يفضي نحو مزيد من التفكيك والبحث، حيث إن المعلومات والصور المقدمة عن راهن المرأة الكردية إلى اليوم تُفرَض وتقدم من جهة وحيدة هي الإدارة الذاتية التي يسّيرها عمليًا حزب العمال الكردستاني عبر واجهته السورية PYD، وهي الإدارة التي تصدرت المشهد الكردي السوري الرسمي من دون منازع بقوة السلاح، وهذا حال سلطات الأمر الواقع كلها على الجغرافية السورية.

حين بدأت البحث، ومن باب الفضول، كتبت في محركات البحث الإلكترونية، جملة "المرأة الكردية في سورية"، عجّت الصفحات بعشرات صور للمقاتلات الكرديات مع أسلحة الكلاشينكوف وجعبات القنابل التي تغطي صدورهن، من دون أي إشارات إلى أي حراك نسوي أو سياسي أو مدني مجرد من السلاح، بينما الويكيبيديا لم تحتفظ سوى بأسماء اللواتي ينحدرن من المكونات العسكرية ذاتها. دفعني هذا الأمر إلى مزيد من التروي للإمساك بخيوط النسوية الكردية المفقودة، لا داخل سورية فقط، إنما أيضًا في دول الجوار؛ العراق وتركيا وإيران، حيث ينتشر الكرد، وتتقاطع الثقافات المحلية الكردية لتصل حدّ التطابق في بعض الأحيان، وتمتد لتشمل الميول والتوجهات السياسية، وبخاصة لدى كرد سورية الذين فشلوا في رسم ملامح سياسية واضحة ومستقلة عن التأثيرات الجيوسياسية لكرد العراق وتركيا تحديدًا. من هنا يأتي تداخل سياقات البحث مع دول الجوار السوري، إذ لا يمكن التطرق إلى أي موضوع يتصل بكرد سورية بمعزل عن الجغرافيا السياسية والديموغرافية الكردية المتداخلة والمتجاورة.

ثانيًا: أهمية البحث وأسئلته وهدفه

على مر التاريخ الحديث رُسمت صورة المرأة الكردية من قبل جهتين أساسيتين، المستشرقين الذين انبهروا بالطبيعة المنفتحة لبعض لقبائل الكردية، والمؤدلجين من الكرد الذين كرّسوا تلك التصورات الاستشراقية في صكوك وشهادات غير قابلة للتشكيك. سيحاول هذا البحث فتح زاوية رؤية مختلفة في سبر أغوار الحقائق حول المرأة الكردية، حقائق أعرض هؤلاء عن ذكرها، أو غابت عنهم. سيزيل البحث بإزالة الغبش، والحفر في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والوصول إلى نتائج

تبرهن فرضيتنا حول الصورة النمطية الزائفة التي فرضت واقعًا، نتيجة احتكار رسمها من قبل جهات محددة بعينها.

يجيب البحث عن الأسئلة الآتية: كيف صوّر المستشرقون واقع المرأة الكردية؟ ما واقع المرأة الكردية في الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟ هل ما تروّجه الإدارة الذاتية حول مزاعم ثورة المرأة ومقاومتها يعد نسوية، نتجت من تحول المرأة إلى العمل العسكري، وما يرافقه من ترويج لتحرر المرأة الكامل من قيود الموروث الاجتماعي، وبزمن قياسي، والفضل في الحياة الحرة والندية مع الرجل يمر عبر حمل السلاح، الكفيل الوحيد بتحررها الشامل؟

يهدف البحث إلى تفكيك حقيقة تلك الصورة الكثيفة والمعقدة إلى عواملها الأولية، صورة يروج لها القادة السياسيون لدى تلك المنظومة السياسية والمدنية والعسكرية التي تتحكم في مفاصل كثيرة في شمال سورية، وشمال شرقها تحديدًا، وتدور في مسار وحيد، مهما اختلفت المسميات وتعددت، مسار حزب العمال الكردستاني التركي الموجود تنظيمًا في كل من سورية والعراق وإيران.

ثالثًا: منهجية البحث

يعتمد البحث على الملاحظة والمراقبة والتدقيق في المقابلات الهادفة المعمّقة، بغية الوصول إلى الحقائق والمعطيات، ومن ثمّ تحليلها في السياق، إضافة إلى المراجع والأدبيات المتوافرة إلكترونيا أو تلك المصادر المكتبية الأخرى.

يمزج البحث بين المنهجية التاريخية والتحليلية، ويبني البراهين على تقاطع مستويات القمع الجندري والأيديولوجي والطبقي والعرقي، وتحليل النتائج من خلالها مستوياتها المتعددة والمتشابكة.

في سبيل توخي الدقة والموضوعية في بعض الأحداث التاريخية الخاصة ببعض الشخصيات التي تناولها البحث، اعتُمِد على إجراء مقابلات معمّقة عبر الاتصال الهاتفي أو الإنترنت، مع الأشخاص الذين تربطهم/ن بهؤلاء صلة قربى أو صداقة، وكان عددهم ثلاثة أشخاص.

من أجل الإحاطة بصورة النمط العسكري من الداخل، استعان البحث بمقابلتين مع "كادرتين" سوريتين سابقتين في حزب العمال الكردستاني، كانتا قد أدليتا بشهادتهما حول تجربتهما الشخصية عبر لقاءات زووم ضمن سلسلة لقاءات بعنوان "المرأة الكردية المقاتلة" التي أجرتها "أصوات نسوية كردية" في زمن سابق من 2021.

بغية استقصاء رؤية النساء في الدوائر القريبة من الإدارة الذاتية، استشهد البحث باقتباسات من الجلسات التشاورية التي تقيمها الحركة السياسية النسوية في الداخل السوري ودول الجوار مع

النساء، وتحديدًا في الجزء الثاني من المناقشة والحوار التفاعلي المفتوح، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه.

اتخذ البحث من المقابلات الكتابية المستفيضة وسيلة لرصد آراء النساء من خارج دوائر الإدارة الذاتية وتحليل استجابات المشاركات.

راجع البحث خطاب المنصات الكردية الرسمية وغير الرسمية، وحلله، وفكك لغة الخطاب في كتب أوجلان بوصفه المرجع الفيصل لحزب الاتحاد الديمقراطي الجناح السوري لـ PKK، بهدف تعقّب الأثر النسوي فيه، وبعض خطابات المستشرقين.

رابعًا: صورة المرأة الكردية في أعين المستشرقين

تناولت كتابات المستشرقين والرحالة الأوروبيين عن الكرد وتاريخهم القديم والحديث، من إرث ثقافي واجتماعي، أغلبها موضوعة المرأة الكردية ضمن حيز الصورة المرئية الخارجية والسطحية للمجتمع الكردي، وفي أفضل الحالات من باب المقارنة مع حال المرأة لدى باقي الشعوب الأخرى في المنطقة؛ العرب الفرس الترك[2]. كما حال دراسات مينورسكي الرحالة والمستشرق الروسي (1877. 1966)، وأقتبس عنه: ((البحث في حالة المرأة مهم جدًا لتحديد أخلاق أي شعب كان، وهذا طبعًا يتعلق بالأكراد أيضًا. فهم أكثر تسامحًا من جميع الشعوب الإسلامية في هذا الصدد))[3]، تلك المقولة وعشرات غيرها صارت مرجعية لدراسات لاحقة، وعدها بعضهم حقيقة دامغة غير قابلة للمناقشة.

في واقع الأمر لم تستطع هذه الدراسات التي قدمت المرأة الكردية بصورة قريبة من صورة المرأة الأوروبية[4] الحفر عميقًا في بنية المجتمع الكردي، وفشلت في تفكيكه من الداخل، وينسحب هذا على راهن المرأة الكردية في سورية ودول الجوار.

على سبيل المثال، حتى يومنا هذا لم تتوقف عمليات ختان الإناث في كردستان العراق، والنساء المختونات بين 37,5 % - 58,5 %، على الرغم من محاولات الحدّ من الظاهرة المتجذرة في ثقافة

(2) اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا، "يوم المرأة العالمي"، موقع الديمقراطي، (2020)، https://cutt.ly/OmiZLDM

*تنبيه: المواقع الإلكترونية المذكورة في هوامش هذا البحث جميعها جرت زيارتها بين 15 أيار/ مايو و23 حزيران/ يونيو 2021

(3) فلاديمير مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات، معروف خزنه (مترجمًا)، (بيروت: دار رابطة كاوا للثقافة، 1987)، ص 106.

(4) جوتيار ميتاني، "المرأة الكردية"، مجلة أفشين، (2020)، https://cutt.ly/BmiZ6Bh

المجتمع الكردي في العراق[5]. ويمكن العودة إلى رواية مريم للكاتب العراقي الكردي "صبري سليفاني" للوقوف على آثار هذا العنف الذي يدفع بالنساء إلى الانتحار[6]. بينما تتصدر المدن والبلدات الكردية في جنوب شرق تركيا قائمة الجرائم المرتكبة باسم الشرف في مستوى تركيا كلها[7]، في مدينة ديار بكر وما حولها ترتكب نحو 70 جريمة باسم الشرف سنويًّا.

ولو تتبعنا المدونات التاريخية الكردية التي تسهب في سرديات الانتفاضات المتركزة في العراق وتركيا وإيران، نجد ببساطة أن حضور المرأة ينحصر في إشارات عابرة تخدم سياقات بطولات الشخصيات العسكرية الذكورية، ويفسر غياب الوجود الحقيقي لكرد سورية في متن هذه السرديات التاريخية نتيجة غياب الجانب العسكري آنذاك. إلى حين عشية الحراك الشعبي السوري الذي انطلق في ربيع 2011، ولا تحضر المرأة في المخيال السياسي والتاريخي الكردي سوى بزوجات بعض القادة، ومن ثم تعمم وتسحب على كامل المجتمعات المحلية الكردية، كما في حالة عادلة خانم 1859/ 1924 زوجة حاكم حلبجة، وتتكرر التجربة ذاتها في حالة بسة خانم زوجة الشيخ رضا الذي قاد انتفاضة ديرسم[8]، إذ تقول إحدى السرديات أنها قاومت حتى حوصرت، ما دفع بها إلى إلقاء نفسها من أعلى الجبل لعفتها وطهارتها. كذلك نكتشف أن مينا خانم مؤسسة "اتحاد نساء الديمقراطي الكردستاني" ليست سوى زوجة قاضي محمد مؤسس جمهورية مهاباد 1946، ويمكن تفسير ذلك بالدور الطبقي الذي تسامح مع زوجات زعماء العشائر والأمراء والقادة، بينما يشي واقع الحال في المستويات الشعبية والعامة بهوة كبيرة بين الصورتين.

خلال السنوات العشر الأخيرات رصد الإعلام الغربي صورتين متناقضتين للمرأة الكردية؛ السبايا الإيزيديات والمقاتلات في صفوف وحدات حماية المرأة الشعب التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي الجناح السوري من PKK التركي، مقابل أعتى التنظيمات الدموية في التاريخ المعاصر. وبما أن الشرق عمومًا يتّخذ من الغرب مرآةً لإثبات مشروعية الوجود، فقد كان دور الأخير في موضوع عسكرة النساء الكرديات تحديدًا دورًا مفصليًّا. ويختزل في قرار هيلاري كلينتون وابنتها إنتاج مسلسل مأخوذ عن كتاب "بنات كوباني" للكاتبة "جيل ليمون" حول دور الغرب في ترويج العسكرة وسيلة لتحقيق العدالة والمساواة[9].

(5) . "ختان النساء لا يزال منتشرا في كردستان العراق رغم الحملات الكبيرة لمكافحته"، موقع https://cutt.ly/0miXgnd، (2019)، SWI

(6) د.م، "مريم" صبري سليفاني ومعاناة المرأة الكردية"، موقع https://cutt.ly/FmiXnRa، (2013)، DW

(7) . "تركيا تخوض معركة للقضاء على جرائم الشرف بهدف إرضاء أوروبا"، موقع العربية، (2006)، https://cutt.ly/qmiXA1k

(8) د.م، "بقعة ضوء على دور المرأة الكوردية في التاريخ"، موقع مجلس المرأة السورية، (2021)، https://cutt.ly/NmiXCeD

(9) هوشنك أوسي، "المرأة في حزب العمال الكوردستاني: الصورة التي خدعت العالم"، موقع قنطرة، (2021)، https://cutt.ly/MmiVTE3

حقيقة مهما جُمِّل الأمر بهدف تمرير تجربة المرأة الكردية المقاتلة في شمال سورية من بوابة النسوية، لا يمكن تسمية ذلك في أفضل الحالات سوى بـ"النسوية العسكرية القسرية" التي منطلقها حمل السلاح. هذا الأمر لا يمكن تفسيره إلا في سياق أنظمة الحوكمة البطريركية الذكورية التي كانت تعترف فقط بالقوة، وتنبذ الأطراف المهمشة، وتتجاهلها، حتى تلك التي تؤمن بالسبل السلمية لتحقيق الأهداف ذاتها، وما تزال كذلك حتى الآن. فالركيزة الأساس لبناء الكادرات هنا هي قسوة الحياة العسكرية، في ما بعد يعاد تدويرهن عبر بعض الأدوار السياسية والمدنية في أكثر من موقع.

فالمرأة المسلحة في حزب العمال الكردستاني التركي وجناحه السوري حزب الاتحاد الديمقراطي تجد في شخص عبد الله أوجلان الأب الروحي لنسويتها، هذه (النسوية الآبوجية) تعدّ حرية المرأة جزءًا من حرية القائد آبو[10].

خامسًا: الملامح الرئيسة للمرأة السورية الكردية

1. منزلة المرأة الكردية اجتماعيًا

لا تختلف كثيرًا القيم والعادات الاجتماعية السائدة والمتحكِّمة في النسوة الكرد في الأرياف والمدن الصغيرة عن مثيلاتها لدى باقي الحاضنات الاجتماعية في عموم الريف السوري المجاور له على تنوعه الديني والقومي، والمقصود هنا بالاختلاف الأدوار الجندرية[11] النمطية للنساء والرجال تتبع المنظومة الذكورية نفسها، بغض النظر عن الشكل الظاهري (الملابس العصرية وما شابه ذلك)، تكاد هذه القيم لا تتباين من حيث المحتوى بين كرد سورية أو العراق أو تركيا وإيران، تبقى الفروقات محدودة في حيز يمكن تجاهله أحيانًا ضمن السِّياق العام، قياسًا بالتقاطعات والمشتركات، هذا في ما لو استثنينا تغيّرات السنوات العشر الأخيرات من عمر الحرب السورية، وأثرها في واقع الحياة، ومن ضمنها القيم الاجتماعية، وتغيّر الأدوار النمطية، وتراجع بعضها الآخر، وبروز ظواهر تكاد تتكرس بوصفها مفهومات جديدة، مثل دخول المرأة بقوة إدارة اقتصاد الأسرة معيلة نتيجة أوضاع الحرب، أو كما هو حال المرأة الكردية والعسكرة.

لكن بالمقابل تتقدم بوضوح لافت نساء المدن السورية الكبرى في أكثر من مجال على قريناتهن

(10) د.م، "حرية القائد آبو حرية المرأة الشابة"، موقع Komelen Jinen Ciwan، (2021). https://cutt.ly/OmiVGTc
آبو: دلالة رمزية على أنصار العمال الكردستاني على عبد الله اوجلان، وتعني "العم" باللغة الكردية.

(11) تعريف الجندر: هي الأدوار والفروقات الاجتماعية التي تظهر تحت مصطلح الذكورة والأنوثة وترتكز في المجتمع على نظام الثنائيات المتعارضة بين النوعين، (2020)، https://cutt.ly/tmiVLoN

في الأرياف محدودة الحركة، والمغلقة على نفسها، كما حال الجغرافيا الريفية التي يقطنها الكرد السوريين/ات. وربما يكون تفسير يوسف زيدان لتشدد الكرد حيال قضايا المرأة والشرف، وربطها بالمناطق الجبلية المعزولة؛ الأقرب إلى فهم ارتفاع نسبة الجرائم المرتكبة باسم الشرف في مناطق وجود الكرد[12] في سورية خلال العقود الماضية، وتركزها في المناطق الريفية والبدوية[13]، وفي ما بين كانون الثاني/ يناير 2020 وشباط/فبراير 2021 ارتكبت 24 جريمة بدافع الشرف، استطاعت منظمة سوريون من أجل الحقيقة[14] الوصول إليها، ((كانت حصة منطقة عفرين والباب وإعزاز سبع جرائم. والملفت للنظر أنه في شمال سوريا، حيث ينتشر الكرد تزداد معدلات جرائم الشرف، "لا توجد إحصائيات رسمية حول جرائم الشرف في سوريا، ولكن تقارير إعلامية ومنظمات حقوقية تقدر عددها في البلاد بنحو 200 إلى 300 جريمة سنويًّا. وتحدث معظمها في المناطق الريفية "شمال وشرق البلاد"))[15].

وما تزال الأعراف والتقاليد المجتمعية في البيئات الكردية السورية تتجاوز قوانين الأحوال المدنية المتعلقة بالميراث[16]، وتعد مطالبة المرأة بحصتها من الميراث واحدة من المكروهات التي تحط من قدر المرأة اجتماعيًا، ويمكن أن يقود بها هذا الأمر إلى قطيعة مجتمعية كاملة، وقد دفع الاستلاب المجتمعي بعض النسوة إلى التباهي بترفعها عن المطالبة بالميراث نتيجة الثقافة التي كرّسها رجال الدين والوجهاء المحليون.

ونجد تساهلًا وتقدمًا في المجتمعات المحلية لدى كرد سورية في ما يتعلق بقضايا الزواج، وتراجعت نسبة الموافقة على الشريك أو فرضه فرضًا تعسفيًا من جانب النافذين في العائلة، الأب أو الأشقاء، قياسًا بما كان عليه الوضع سابقًا، ويمكن ربط هذا التطور بما حققته المرأة في مضمار التعليم خلال العقود الثلاثة الأخيرة نتيجة الهجرة والعيش في المدن الكبيرة، مثل حلب ودمشق. لكن هذه التطورات مجملها لم تسهم في تراجع مستويات الجرائم المرتكبة باسم الشرف، ولا في الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمرأة الكردية إلا ضمن حدود ضيقة، ويعود السبب في ذلك إلى تكوين تجمعات بشرية

(12) يوسف زيدان، شجون عربية، ط1 (القاهرة: نون للنشر والتوزيع، 2016)، ص91

(13) إنغمار كرايزل، "حملة سورية ضد جرائم الشرف: عار "القتل غسلا للعار""، عبد اللطيف شعيب (مترجمًا)، موقع قنطرة، (2006)، https//:cutt.ly/xmiBEEp

(14) " جرائم مستمرة بحق النساء في مناطق سورية مختلفة، لغاية شهر شباط/ فبراير 2021 "، سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، (2021)، https//:cutt.ly/ymiBDMu

(15) عفراء محمد، "جرائم الشرف في سوريا – ثغرات قانونية تكرّس ظاهرة "غسل العار""، موقع DW، (2010)، https//:cutt.ly/SmiB1L8

(16) ندوة تثقيفية بعنوان "حق المرأة في الميراث "نظمتها اللجنة الكوردية للدفاع عن المعنفات، موقع المجلس الوطني الكردي، (2017)، https//:cutt.ly/HmiNr6U

موازية على شكل أحياء ذات طابع ريفي في المدن الكبرى[17].

2. المنزلة في الحياة السياسية والعامة

على الرغم من أن أول امرأة اعترضت عربة الجنرال غورو وسط مدينة دمشق، وسلمته عريضة تطالبه بالإفراج عن المعتقلين كانت بدرية رسول ملي، والدة وصال فرحة[18]، واعتقلت في إثر الحادثة، وكانت أولى النساء اللواتي تعرضن لتجربة الاعتقال؛ كانت تنحدر من القومية الكردية، لم يحتفِ الكرد بها يومًا مثلما احتفوا بأمثالها من الرجال في مواقف مشابهة، على سبيل المثال محو إيبو شاشو الذي أطلق أول رصاصة في وجه الاحتلال الفرنسي[19].

فالتاريخ السياسي لكرد سورية مذكر بامتياز، في ما لو استثنينا السنوات العشر التي تلت الثورة السورية وبدلت التوازنات المجتمعية والسياسية في عموم سورية.

فقد أُسس أول حزب كردي بغياب تام للمرأة عن تشكيلته في 1957[20]، وهو العام نفسه الذي شاركت فيه روشن بدرخان في مؤتمر مناهضة الاستعمار ممثلةً لكردستان في أثنيا، إلا أنها على الرغم من ذلك لم تكن من مؤسّسات الحزب الذي ولد آنذاك. وبالطريقة نفسها لم تذكر في أي وثيقة تاريخية أسماء نساء مسهمات في الجمعيات والمنظمات التي شُكلت في تلك الآونة أو في المراحل التي سبقتها. ولدى تقصي آثار النساء الأوائل تبين أن وصال فرحة/ بكداش الاسم السري (ديلبر)، وأختها (نادرة فرحة) بالاسم السري (غولا سور) كانتا عضوين في نادي هنانو الذي أسسه عثمان صبري وآخرون.[21] لكن نجد مشاركة للمرأة في العلن تقتصر على بعض الفعاليات الفنية والأدبية التي تأخذ طابعًا مناسباتيًّا مثل أعياد النوروز وعيد الصحافة الكردية. ففي 2011 حين عقدت أحزاب الحركة الكردية المؤتمر التأسيسي للمجلس الوطني الكردي[22] لم يرشّح أي حزب امرأة بصفتها الحزبية، وكان عدد النساء 17 فقط من مجموع 250 لكامل أعضاء المؤتمر، في الوقت الذي لم تنتخب فيه سوى اثنتين للجنة التنفيذية من قوام أعضائه الذين بلغ عددهم 42 عند التأسيس

(17) مثل أحياء الأشرفية والشيخ مفصود بحلب وزورآفا بدمشق ذات الكثافة الكردية العالية.

(18) صبيحة خليل، مقابلة مع "ريم فرحة" حفيدة بدرية رسول ملي، عبر الهاتف، (14.06.2021).

(19) بير رستم، "شخصية تاريخية من عفرين، محو إيبو شاشو"، موقع مدارات كرد، (2015)، https://cutt.ly/jmiNhMz

(20) 63 عاما على تأسيس أول حزب كردي في سوريا على يد مجموعة من المثقفين والسياسيين الكرد، موقع Buyerpress، (2020)، https//:cutt.ly7/miNv3C

(21) صبيحة خليل، مقابلة مع "ريم فرحة"، عبر الهاتف، (16.06.2021).

(22) د.م، "المجلس الوطني الكردي في سورية"، مركز مالكوم كير-كارنيغي للشرق الأوسط، https://cutt.ly/hmiNJ3i

بتاريخ 26 تشرين الأول/ أكتوبر 2011.

من جهة أخرى حاولت الأحزاب اليسارية السورية التركيز على النساء واستقطاب المكونات السورية بمن فيهم الكرد، ولعبت رابطة النساء السوريات لحماية الأمومة والطفولة[23] دورًا مهمًا ضمن سياقات تمتد من أواسط القرن الماضي، إلا أنها لم تستطع إيصال المرأة الكردية إلى مستوى القرار السياسي أسوة بنساء مناطق أخرى لأسباب تخص الإرث الاجتماعي لدى كرد سورية، وفي الوقت نفسه نتيجة ضغوط وانحيازات سياسية فرضتها ضوابط الاستبداد والموقف من الكرد عمومًا.

يمكن ردّ أسباب غياب الدور السياسي للمرأة الكردية في سورية إلى عوامل عدة، منها الخوف من تبعات أي نشاط سياسي في دولة الاستبداد، حيث الملاحقات الأمنية والسجن، ما دفع البيئات المحلية الكردية إلى إبعاد النساء عن أي نشاط سياسي محافظة على كرامة العائلة أو الجماعة، وشرفها المتمثل بالمرأة، بحسب الأعراف والقيم السائدة. في الحالات النادرة التي اعتقلت فيها نساء كرديات بسبب نشاطهن السياسي جرى التكتم على الأمر، مثل حالة نازلية كجل[24] التي اختفت في سجون النظام السوري[25] منذ 2004. أما الأمر الآخر الذي حال دون المشاركة السياسية للمرأة الكردية فهو الذهنية المجتمعية التي أسندت المهمات القومية الكردية إلى الرجال.

ولكن في العقود الأخيرة نتيجة تقدم المرأة الكردية في التعليم ودخول الجامعات، والاحتكاك والتفاعل مع بيئات سورية سياسية، ودخول شريحة لا بأس بها إلى سوق العمل والتوظيف، تساهلت بعض الأحزاب السياسية والعائلات مع نشاط المرأة السياسي، إلا أنه ظل محدودًا ومقتصرًا على القواعد الحزبية، فلم تصل إلى المراكز القيادية إلا نادرًا. في أيار/ مايو 2012 أجريت استبيانًا مع الأمناء العامين لأحزاب المجلس الوطني الكردي لمعرفة نسبة مشاركة المرأة في الأحزاب السياسية، وكان السؤال كما يأتي: ما هي نسبة وجود المرأة في حزبكم؟ وما عدد النساء في المراكز القيادية؟

تبيّن غياب الوجود النسائي في المناصب القيادية سوى لدى حزبين من الأحزاب الأحد عشر الذين أجابوا عن السؤال، وأحد هذه الأحزاب الذي أقر بوجود ثلاث قياديات كان من الأحزاب التي تنشط في الخارج فقط، وليس له وجود فعلي داخل سورية، وحُلّ في ما بعد، راوحت النسبة بين 1 % كحد أدنى و10 % كحد أعلى في قواعد الأحزاب مجملها. بطبيعة الحال اختلف الوضع في ما بعد نتيجة ارتخاء القبضة الأمنية، وحاجة الأحزاب الكردية إلى العنصر النسائي للتسويق السياسي، بوصف

(23) د.م، "نشوء رابطة النساء السوريات لحماية الأمومة والطفولة"، صحيفة النور، العدد 665، (2018)، https://cutt.ly/cmiN7de

(24) نازلية كجل تنحدر من قرى منطقة عفرين السورية كانت عضوة في حزب pyd تكتم أهلها وحزب pyd على اعتقالها لسنوات عدة، تداول ناشطون كرد ملفها بعيد الحراك الشعبي السوري، ما أجبر حزب pyd على تداول قضية اختفائها تداولًا خجولًا.

(25) د.م، "مركز الأبحاث وحماية حقوق المرأة في سوريا يطالب بالكشف عن مصير آلاف النساء المعتقلات في السجون السورية"، موقع جريدة روناهي، (2020)، https://cutt.ly/YmiMoKw

ذلك أحد متطلبات المرحلة التي فرضتها أوضاع العلاقات الدبلوماسية مع الدول الفاعلة في الشأن السوري.

3. منزلة المرأة في الحياة الاقتصادية

تعد الزراعة وتربية المواشي وبعض الحرف اليدوية ميدان النشاط الاقتصادي لكرد سورية حتى الأمس القريب، وعلى الرغم من أن مناطق انتشار الكرد في سورية غنية بالثروات[26]، وتكاد تكون الخزان الاقتصادي لعموم سورية[27]، وبخاصة في مجال الزراعة؛ إلا أن سياسات الإفقار والتهميش المتعمد التي مارسها نظام البعث أسهمت في الهجرة البطيئة من تلك المناطق نحو المدن الكبرى.

على الرغم من أنّ مشاركة المرأة الكردية في دورة الحياة الاقتصادية محورية من خلال القيام بجزء كبير من الأعمال الزراعية والرعوية، وهي من المهن الشاقة والمتعبة لما تحتاج إليه من جهد جسدي ومتابعة، إلا أنها مبعدة كليًا عن إدارة اقتصادات ذاك النشاط والتحكم في الموارد، باستثناء طفرات قليلة، يستحوذ الرجال على إدارة المنتجات، وتسويقها، ولهم حق التصرف وسبل الإنفاق، وتقاسم ما ينتج منه من مقدرات مالية، وتنتقل هذه الأملاك من الآباء إلى الأبناء الذكور من دون النساء، ما خلا بعض الاستثناءات في السنوات الأخيرات.

وتعد البيئات المحلية لكرد سورية عمل المرأة واحدة من المهمات الطبيعية المفروضة عليها بحكم عقلية الإقطاع الجمعي النابع من سلطة القيم والأعراف السائدة، وفي أغلب الأحيان تُكافأ المرأة على عملها في نهاية المواسم الزراعية[28] بتلبية بعض الاحتياجات الشخصية البسيطة.

أما في المدن الكبيرة، فقد حققت المرأة الكردية بعض المكاسب الاقتصادية الصغيرة من خلال عملها في مؤسسات الدولة، خصوصًا سلك التعليم والهندسة، أو بعض القطاعات الصناعية مثل الخياطة. لكنه ظلت تحت وصاية العائلة أو الزوج، ونادرًا ما كانت تصل إلى مرحلة التصرف في الموارد باستقلال، ويمكن إيجاز المكاسب ببعض المزيات الشخصية مثل حق التصرف بقسم من الراتب في أفضل الأحوال.

(26) 25 سنان حتاحت، "الاقتصاد السياسي للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا"، موقع Middle East Directions، (2020)، https//:cutt.ly/nmiMkhJ

(27) د.م، "تأثير الحرب على الأصول الاقتصادية السورية"، موقع الجزيرة، (2017)، https://cutt.ly/QmiMm4B

(28) في منطقة عفرين على سبيل المثال تكافأ النساء والفتيات على عملهن ومجهودهن في جني المحصول بشراء بعض الملابس، وفي بعض الأحوال بشراء قطعة ذهب.

سادسًا: موقع المرأة الكردية بين الرائدات السوريات

إن اقتفاء أثر الكرديات السوريات ضمن سياقات الحراك النسوي/النسائي السوري ليس أمرًا هيّنًا، لا سيما في مرحلة معقدة من تاريخ سورية ما بين استعمارين قديم وحديث، ثم الدخول في دوامة الانقلابات وإجهاض المشروع الوطني السوري قبل استلام البعث، ويعود ذلك إلى جملة من المحددات والمقاييس، الوطنية السورية والقومية الكردية، تلك التي فرضت إيقاعها وشروطها على الواقعين الاجتماعي والسياسي المتصلين بموضوعة المرأة الكردية في سورية، حيث لم تلقَ الشخصيات النشطة من بين النساء الكرديات في سورية -على الرغم من قلة عددها- الحق بالاحتفاء بهن في أرشيف النسويات السوريات، ويكاد لا يعثر لهن على أثر.

شخصية مثل روشن بدرخان (1909- 1998) نشطت في أكثر من مستوى؛ قومي كردي ووطني سوري ونسوي، يندر التعرف إليها اليوم بين السوريين/ات خارج الأوساط الكردية السورية، مع أنها من أولَيات عضوات الاتحاد النسائي السوري الذي أُسس عام 1933 على يد عادلة بيهم[29]، ومثلت فيه روشن بدرخان رسميًا المرأة السورية في المؤتمر النسائي العالمي الذي عقد في القاهرة عام 1944[30]. ويُرجع الكاتب الكردي السوري دلاور زنكي[31] -الذي أعد مذكرات روشن بدرخان وجمعها- أسباب تجاهل الصحف المصرية الصادرة آنذاك لروشن بدرخان، وسقوط اسمها من قائمة الحضور؛ إلى إنكارهم عليها هويتها الكردية التي كانت حاضرة بقوة إلى جانب هويتها السورية. يتكرر الشيء ذاته في السرديات السياسية الكردية حول حياتها، وتقفز فوق بعدها الوطني السوري بعبارة مقتضبة: انقطعت عن الاتحاد النسائي بعد مؤتمر القاهرة[32] من دون تقديم أي تفسير. بينما يجري التركيز على مشاركتها في مؤتمر أثينا 1957 لمحاربة الاستعمار بحكم تمثيلها الكرد وكردستان[33]، ويأتي الحديث عنها دائمًا مرادفًا للدور الذي لعبه زوجها جلادت بدرخان بوصفه واحدًا من الأمراء الكرد، لدوره في التأسيس للصحافة الكردية، مع أن الكاتب دلاور زنكي يؤكد محورية دور رفيقة دربه المر في إصدار "مجلة هاوار"، لا بل كانت المعيلة الوحيدة لأسرتها في كثير من المراحل بحكم عملها مدرسة في ثانويات دمشق، إلا أنها لم تنل نصف ما ناله زوجها من اهتمام. فهي بالكاد ترى من خلف

(29) دلاور زنكي، روشن بدرخان حياتها وأعمالها، ط2، (قامشلو: مطبعة بيلا، 2021)، ص 9

(30) الاتحاد النسائي السوري، موقع التاريخ السوري المعاصر، (2021)، https://cutt.ly/MmiMJxT

(31) دلاور زنكي كاتب وشاعر كردي سوري من مواليد عامودا 1961 كانت تربطه صداقة متينة بالعائلة البدرخانية، وكتب كثيرًا في هذا الخصوص مثل كتاب: دلاور زنكي، روشن بدرخان حياتها وأعمالها، ط2، (قامشلو: مطبعة بيلا، 2021)

(32) بيمان قاسم، "أعطِني وحدة الكرد أُعطِك كردستان مستقلّة.. روشن بدرخان: الكاتبة والمترجمة والمناضلة"، موقع مدارات كرد، (2019)، https://cutt.ly/Jmi1rqT

(33) دلاور زنكي، روشن بدرخان حياتها وأعمالها، ص 7.

ظله الكثيف[34]، لأسباب يمكن ردها إلى العقلية الذكورية التي تسم طابع المجتمع الكردي، مثل باقي مجتمعات المنطقة. أما وطنيًا لعب صعود فكرة القومية العربية وسياسات البعث تجاه الكرد حصته في تهميش واحدة من رائدات الحركات النسائية الكردية والسورية في آن معًا.

من جهة أخرى لعب الحزب الشيوعي دورًا مهمًا في إضافة المفهومات النسوية إلى الثقافة السورية بصورة عامة، وكان له تأثيره الواضح في الوسط الكردي، ودخل في منافسة مع الأحزاب الكردية للاستحواذ على المساحة الاجتماعية والسياسية لكرد سورية، وكان له دور بارز في استقطاب النساء الكرديات لعوامل عدة، أهمها الأصول الكردية لزعيم الحزب خالد بكداش (1912- 1995) الذي استولى على قيادة الحزب منذ عام 1937 حتى وفاته. فقد استطاع بكداش أن يحظى بهامش لممارسة الثقافة الشعبية الكردية، وورثت زوجته وصال الفرحة بكداش دورَ قيادة الحزب من بعده، وكان لها دور مهم في الحراك النسائي السوري، على الرغم من الجدل حول أدائها، وانصهارها في مشروع النظام بعد استلام مقاليد الحزب. إلا أن ذلك لا ينفي أنها في حقبة ما من تاريخ سورية كان لها دور فاعل ومؤثر. شاركت في عدد من التظاهرات، واختبرت تجربة الاعتقال[35]، وبخاصة أنها ولدت لأم وأب ثائرين، قارعا الفرنسيين بشراسة. بخلاف زوجها الذي كان يعد نفسه سوريًا فقط، لم تتنكر وصال لهويتها الكردية، وفي الوقت ذاته لم تظهرها أيضًا على العلن[36]. ففي الوقت الذي لم يسأل أحد عن سبب ترك روشن بدرخان ساحة العمل السورية، كذلك الأمر لم تُسأل وصال عن مرحلة نادي هنانو ذي الطابع الكردي، بل سقط اسمها هي وأختها نادرة (ديلبر وغولا سور) من دفاتر التدوين الكردية لتلك الحركات مثلما سقط اسم روشن من بين أسماء الاتحاد النسائي السوري، فقد أسهمت في تأسيس رابطة النساء السوريات لحماية الأمومة والطفولة عام 1948، وحضرت عددًا من المؤتمرات الدولية بخصوص المرأة.

بخصوص مشاركة النساء الكرديات في الحراك النسوي السوري قبل 2011 سأورد شهادة شخصية. ففي عام 2004 كنت أنشط مع رابطة النساء السوريات حين اندلعت الانتفاضة الكردية، وشملت حي الأشرفية الذي أقطنه في حلب بتاريخ 16 آذار/ مارس، وتحول حي الأشرفية إلى مجزرة حقيقية سقط في إثرها ضحايا مدنيون/ات. صديقاتي من الرابطة طلبن مني موعدًا بعد أيام عدة، وفوجئت أن فحوى التحقيق في شعارات نادى بها المعتصمون/ات الغاضبون في الشارع، وفي تنظيمي

(34) صبيحة خليل، مقابلة مع دلاور زنكي، اتصال هاتفي، (21.05.2021): قال ما ملخصه: " كانت أصابع روشن مشوهة وشبه معطوبة ولما سألتها عن السبب أجابت: أنها في أكثر الأحيان كانت تجهز آلة الطباعة البدائية حيث تثبت الأحرف النحاسية على قاعدة خشبية بواسطة الأسلاك التي تجرح الأصابع، وأنها كانت تعمل جنبًا إلى جنب مع زوجها على إعداد وتجهيز طباعة مجلة هاوار".

(35) "وصال فرحة بكداش: رفضنا حل حزبنا الشيوعي فحطم استخبارات عبد الناصر منزلنا"، موقع التاريخ السوري المعاصر، (2002)، https://cutt.ly/dmi1cHv

(36) صبيحة خليل، مقابلة مع ريم فرحة: ابنة أخ وصال، عبر الهاتف (16.06.2021).

دورة "جندر" لشابات وشبان كرد من طلبة جامعة حلب من دون إذن مسبق منهن. إحدى الصديقات التي حضرت لقاء المحاسبة آنذاك قيَّمت الجلسة على النحو الآتي: ((كانوا يتّبعون نفس نهج النظام في الوصاية، تساءلت وقتها هل كانوا سيستجوبنني لو كنت أنا العربية من شكلت مجموعة نساء من محيطي الحلبي وأقمت لهن دورة جندر أم أن قضية الوصاية فقط لأنك كردية؟))[37]

تشابكت تقاطعات صور الوصاية وتراتبية السلطات على كاهل المرأة الكردية السورية، ويمكن توضيح الرؤية من خلال ما كتبته "بيل هوكس"[38] المفكرة النسوية التقاطعية ((حين انضممت إلى مجموعات نسوية اكتشفت أن المرأة البيضاء تتعامل بقدر من التنازل معي ومع غيري من النساء غير البيضاوات، إن التنازل الذي كانت هؤلاء النسوة تتعامل به تجاهنا إنما كان يمثّل إحدى الوسائل المستخدمة لتذكيرنا بأن الحركة النسائية هي حركة خاصة بهن لأنهن سمحن لنا بذلك وشجعننا على العمل معهن، فقد كان وجودنا ضروريًا لمنح العملية والحركة شرعيتها، فلم ينظرن إلينا نظرة المساواة، ولم يعاملننا معاملة المساواة.))[39]

تتقاطع حال النساء الكرديات داخل المنظمات السورية مع النساء غير البيضاوات في ما أوردته بيل هوكس، مع مراعاة أن التنازل الذي تحدثت عنه هوكس يقابله في الحالة السورية الوصاية وفرض الإحكام. فإما أن تذوب الكرديات تمامًا، فيصبحن لا مرئيات أو يستبعدن لكسرهن القواعد المفروضة من دون ربط هذا التماهي المطلوب بالضرورة بقضية الحقوق والمساواة في الكرامة الإنسانية لجميع المواطنين/ات بوصفه شرطًا أساسًا لاندماج طوعي.

سابعًا: نموذج النسوية الآبوجية

يتبع أنصار حزب PYD الجناح السوري للعمال الكردستاني التركي PKK ما يعرف بـ "فلسفة أوجلان"، ولا تنكر المنظمات التي أنتجها الحزب كونهم جزءًا من الحراك النسوي العالمي، مع أن النسوية الآبوجية -إن جاز التعبير- لا تخرج عن مسار محدد رسمه أوجلان في كتبه الأخيرة، على وجه التحديد "العصرانية الديمقراطية هي عصر ثورة المرأة"، ويصف فيه عمله المتعلق بتحرير المرأة بأنه عمل أسطوري: ((عملي ونشاطي الثالث الأسطوري في الشرق الأوسط يتعلق بتحرر

(37) صبيحة خليل، مقابلة مع صباح نجّار: عضوة سابقة في رابطة النساء السوريات، عبر اتصال هاتفي، (08.05.2021).

(38) كاتبة وأكاديمية ومفكرة وناقدة وفنانة نسوية ألّفت عددًا من الكتب النقدية، ويكي جندر: genderiyya.xyz

(39) ناهد بدوية، الخروج من العزلة، (بيروت: دار النايا، 2013)، ص 51-52.

المرأة))[40]، يقول: ((تدخلت بكل شيء يخصهن لأجل إيصالهن إلى تذوق كل ما يمكن تذوقه بلغة لسانهن ومشاعرهن، فنشأن نشوءًا عظيمًا، ولكنهن لا زلن حديثات العهد، والحياة الملعونة والأسياد الرجال لا زالوا إلى جانبهن، بينما كن يفتقرن إلى الخبرة والمهارة لأجل خوض حرب جنسية مع الرجال وفي مواجهتهم، ولهذا الألم ألقين بأنفسهم إلى الهاوية، ومزقن أنفسهن بالقنابل، وفعلن كل ما يمكن ببطولة كبيرة))[41]. عبارته السابقة التي تحمل بين طياتها سطوة أيديولوجية تعيد صناعة المرأة وتشكيلها بالطريقة التي يريدها أوجلان لإلقاء أنفسهن في الهاوية، بحسب تعبيره.

تبدو الذاتية المفرطة واضحة المعالم في مؤلفات أوجلان أغلبها، دفعه هذا إلى الترفع عن دعم أفكاره بأي مراجع لفيلسوفات نسويات، سوى لمرة أو لمرتين يأتي بصورة عابرة على ذكر روزا لوكسمبورغ، بالتأكيد كانت حجته ستكون مقنعة لدرجة ما عندما يظهر تأثره أو اهتمامه برمز نسوي سياسي من قبيل روزا التي اتجهت إلى المقاومة اللاعنفية، ((قضت فترة طويلة في المنفردة أثناء الحرب العالمية الأولى جراء مناداتها برفض الخدمة العسكرية وعدم رفع السلاح في وجه إخواننا))[42]، لعلّ السلاح هو علامة الافتراق الكبيرة بين روزا وأوجلان. بينما لا يجد حرجًا في كتبه التي تقصيت فيها المسارات النسوية، والتي يتخذها حزبه بمنزلة كتب مقدسة، من الاتكاء على أفكار فلاسفة رجال أمثال: ماركس، أنغلز، باكونين، كروبوتكين، أفلاطون، فولتير، موراي بوكين، إيمانويل والرشتاين، مشيل فوكو ...إلخ. وعندما يذكر النشاط الأدبي للكرد السوريين في كتابه المانيفستو، يذكر جكر خوين وعثمان صبري[43]، ولم تسعفه نسويته/ انحيازه للنساء في ذكر روشن بدرخان على سبيل الإنصاف أو التماهي مع ذاته التي يعدها منصفة للمرأة، حتى في يوتوبيا نسوية العمال الكردستاني المسماة "جنولوجيا Jineology" أُغفلت روشن. ربما يرجع سبب ذلك بالدرجة الأولى إلى مواقف أوجلان من المرأة الكردية قبل مرحلة ما تعرف بـ "ثورة روج أفا"، حيث لا يخفي أوجلان سوء علاقته بأمه في المانيفستو ذاتها[44]، لكن في كتابه "كيف تعيش" يشن انتقادات لاذعة على المرأة الكردية

(40) عبد الله أوجلان، العصرانية الديمقراطية هي عصر حرية المرأة، أكاديمية عبدالله أوجلان للعلوم الاجتماعية (إعدادًا وتقديمًا)، (د.م: موقع شبكة الجيوستراتيجي للدراسات، 2017) ص 4. https://cutt.ly/Cmi0c1r

(41) المرجع السابق نفسه، ص4

(42) بوكه هيرمسين، روزا لوكسمبورغ وحنة آرنت "بين المدّ والجزر"، رحاب شاكر (مترجمة)، موقع الجمهورية، (2019)، https//:cutt.ly/Smi0Pmt

(43) عبد الله أوجلان، مانيفستو الحضارة الديمقراطية المجلد الخامس القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية، زاخو شيار (مترجمًا)، ط2، (د.م: مطبعة آزادي، 2014)، ص 298-299

(44) المرجع السابق نفسه، ص 549

التي "تنبعث منها رائحة كريهة"[45] بحسب زعمه؛ الأمر الآخر أحد مساعي أوجلان وأهدافه في إثبات وتفنيد أي منجز نسوي كردي قبل مرحلة العمال الكردستاني بزعامته، هذا في ما لو قدم الحزب شيئًا ما للمرأة الكردية غير السلاح.

تنطلق النسوية الآبوجية من منطلق واحد إدماج المرأة في العسكرة وحمل السلاح ((علينا النظر إلى التنوع والتوافر باعتباره لغة النباتات وحياتها. فهي أيضًا لها عوائلها وأقاربها، بل وحتى أعداؤها. ولكن آلية الدفاع الخاصة بكل نوع أو جنس تعد مبدأ راسخًا لدرجة أنه يكاد لا يوجد كائن بلا دفاع"[46]. الأمر الذي جعله يطالب المرأة أن تندر نفسها للحياة الحرة، معتبرا (التسلح) وحده الكفيل باستعادة أمجادها الغابرة منذ عصر الآلهة الأم. والسبيل إلى تحقيق ذلك يكون بالتخلي عن العلاقات الجنسية الرأسمالية على حد تعابير أوجلان، والتي تُستغل فيها المرأة شر استغلال حسب رأيه "إن العيش مع المرأة في كنف الوضع القائم ينبئ بنهاية الحياة))[47]. ولذلك يجد أن مشاركة المرأة للرجل بممارسة الجنس تضعها بين براثن السلطة القمعية، ويعادل ذلك وضع المرأة مع النمر في قفص واحد، ويمثل الرجل هنا حال النمر عندما يشكو الأسر والجوع، ويرى أوجلان أن علاقة الزواج الكلاسيكية والمعتادة لن تخرج المرأة سليمة من القفص الذي دخلته: ((ستدفع ثمن دخولها القفص بحياتها أو بتحولها إلى أنثى النمر المستسلمة كليًا. ونمط أنثى النمر يمثّل المرأة المسترجلة))[48].

من هنا نستطيع أن نفهم سبب استغرابه الشديد من رفض إحدى الكادرات الانضمام إلى الحياة العسكرية والاكتفاء بالتدريب السياسي: ((لماذا لا تريدين الانضمام إلى العمل العسكري؟ كل رفقاتك دمهن حامي أنت ليش لا؟! أجبته أنا بدي السياسة))[49]، وعلى الرغم من ذلك كان عليها أن تخرج في نوبات الحراسة، وبحسب تعبيرها كان أوجلان يقول لهم/ن: ((الأسرة صايرة مشكلة قدام المجتمع)). أما علاقات الحب فكانت محرمة كليًا في المعسكر، ومن يخالف التعاليم يتعرض لأقسى العقوبات، وقد يكلفه ذلك حياته، مع أن كل النساء اللواتي عرفن أوجلان عن قرب كن على يقين تام أنه غير زاهد في النساء، لا بل كان متزوجًا من كسيرة يلدرم ابنة أحد الضباط في الجيش التركي التي اتهمها في

(45) د.م، "أوجالان يهاجم النساء الكرديات"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 8084، (الاثنين 15 كانون الثاني/ يناير 2001)، https//:cutt.ly/Vmi2nlL

(46) عبد الله أوجلان، حول الأسلوب ونسق الحقيقة، أكاديمية عبد الله أوجلان للعلوم الاجتماعية، (د.م: موقع أكاديميات المجتمع الديمقراطي، 2018)، ص 51. https://cutt.ly/Jmi29AT

(47) عبد الله أوجلان مانيفستو الحضارة الديمقراطية، ص 66.

(48) المرجع السابق نفسه، ص 73

(49) مقابلة مع كادرة سابقة في PKK، ضمن سلسلة لقاءات "المرأة الكردية المقاتلة" أصوات نسوية كردية سورية، عبر زووم، (22.01.2021)

ما بعد بالعمالة [50].

ويرد أوجلان على خصومه في نقدهم إياه وحزبه وطريقة تعاملهم القاسية مع المرأة، وبخاصة على خلفية تصاعد وتيرة تجنيد القاصرات[51]: ((هل تستطيع أكثر تلك الفتيات اللاتي تعتزون بها تنفيذ مثل هذه العمليات البطولية؟ ألن تخرج عن جادة الصواب أو تهرب أكثر الفتيات والنساء اللاتي تثقون بهن لمجرد بعض المكاسب البسيطة؟))[52] وهنا تتضح الصورة الحقيقية التي يحاكم بها أوجلان النساء اللواتي لم ينضممن إلى القتال في صفوف حزبه، سيهربن، ويخرجن عن جادة الصواب، يعود أوجلان أدراجه إلى الذهنية الذكورية التي تقيس المرأة عبر السلوك الجنسي المشكوك به دومًا من العقل البطريركي الذكوري، ومن ثم بحسب وصفه تتحول المرأة إلى سلاح ذي حدين، فهي قوة في يده، وضعف في يد الخصوم، والخصوم هنا المجتمع الرافض تسليحَ المرأة، مبينًا أن مكمن الخلل والضعف في العاطفة الملازمة للمرأة، وهذا ما يدفع به إلى تصحيح ما يجده عطبًا لدى أنصاره عبر الدفع بالمرأة نحو حمل السلاح.

من ناحية أخرى لا يتوانى أوجلان عن نقد الماركسية ونظرية دكتاتورية البروليتارية، وربما كان على حق في نقده حين قال: ((أحد أهم الأخطاء الجسيمة للأسلوب الماركسي يكمن في انتظاره من البروليتاري القابع تحت وطأة القمع والاضطهاد والاستغلال اليومي أن ينشئ المجتمع الجديد، دون أن يوجّه الثورة ويعمّقها في الميادين الذهنية. لقد عجز الماركسيون عن رؤية البروليتاري عبد مغزو ومستعبد من جديد. لقد وقع في سفسطتهم العامل الحر))[53]. ببساطة يمكن استبدال ما بين قوسين (العامل الحر/ المرأة الحرة) التي روّج لها أوجلان، للوصول إلى الحصيلة ذاتها، وهنا يكمن تناقض طروحات أوجلان في ما لو استبدلنا كلمة الآبوجية بالماركسية والمرأة بالبروليتارية.

وهنا أيضًا يمكننا إسقاط انتقادات أوجلان للماركسية على واقع المرأة الكردية القابعة تحت وطأة الموروث الاجتماعي الثقيل للبيئات الكردية المحلية التي يطلب منها أوجلان تنشئة المجتمع الجديد والحر من دون تأهيل الميادين الاجتماعية والفكرية، وذلك عبر اللجوء إلى السلاح فقط.

((أحد أهم الأخطاء الجسيمة للأسلوب الآبوجي يكمن في انتظاره من المرأة القابعة تحت وطأة القمع والاضطهاد والاستغلال اليومي أن تنشئ المجتمع الجديد، دون أن يوجّه الثورة ويعمّقها في

(50) هوشنك أوسي، "كسيرة يلدرم وميرال قدير وبينهما أوجلان"، موقع السفينة، (2020)، https://cutt.ly/xmi9bvm

(51) د.م، "انتهاكات جسيمة بحق اطفال سوريون. تقرير صادر عن منظمة سوريون من اجل الحقيقة والعدالة حول تجنيد الاطفال في سوريا"، (14آذار/ مارس 2018)، https://cutt.ly/emi9F3k

(52) عبد الله أوجلان، كتاب مسيرة روما السلسلة العربية 4، ط1، (د.م: منشورات صوت كردستان، 2002)، ص 139-140.
تركت الباحثة الاخطاء اللغوية الواردة في الشاهد من دون تدخل كما جاءت في الكتاب المرجع.

(53) عبد الله أوجلان، حول الأسلوب ونسق الحقيقة، ص 39-38.

الميادين الذهنية. لقد عجز الآبوجيين عن رؤية المرأة عبدة مَغزوّة ومستعبدة من جديد)).

أما عمليًا تبقى الكوارث التي رُصدت خلال أكثر من أربعين عامًا من مسيرة العمال الكردستاني التركي بحق النساء في كل تركيا وسورية والعراق وإيران أكثر من أن تعد وتحصى من دون تحقيق أي منجز حقيقي. في سوريا وحدها تركت المئات من الفتيات الجامعات منذ تسعينيات القرن الماضي، وحملن السلاح، علاوة على التجنيد الإجباري بحق القاصرات، وفرض مناهج تعليمية أيديولوجية أسهمت بالنزوح من مناطق الإدارة الذاتية، والتضييق على الناشطين/ الناشطات السياسيين والمثقفين/ات [54].

حقيقة حوّل أوجلان نضالات المرأة الكردية التي كانت تتدرج ضمن مسار طبيعي من الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي إلى حالة مزمنة، حالة تصادمية وثأرية مع المجتمع كله باستخدام أداة وحيدة؛ السلاح. ولعلّ أنصاره طبّقوا مقولاته بحذافيرها حين جنّدوا الناجيات ممن كنّ سبيّات لدى داعش[55]، أو من ضحيات العنف الأسري.[56]

جينولوجيا Jineology

الجينولوجيا مصطلح ورد لأول مرة في كتاب عبد الله أوجلان "سيسيولوجيا الحرية" في 2008. الجينولوجيا تعريفًا: "علم المرأة" وأصل الكلمة هما مفردتا Jin وتعني (المرأة) باللغة الكردية، وLogy وتعني علم باللغة اللاتينية، ((تم طرح جينولوجي علم اجتماع بديل))[57].

نقل عبد الله أوجلان أنصاره نساءً ورجالًا من ضفة الماركسية إلى الضفة الأيكولوجية والأمة الديمقراطية، وعلى الرغم من ذلك احتفظ بسلاحهم ضامنًا وحيدًا لبلوغ العدالة بحسب رؤيته، وكل ما قام به أنه غيّر التسمية. فاستبدل الدفاع الذاتي بالكفاح المسلح. ومهما اختلفت دلالات التسمية تبقى الوسيلة أو الطريقة المتبعة واحدة "شن الحرب"، وهو تعبير شائع في الأدبيات الأبوجية [58] ويبرر ذلك أوجلان بقوله ((خاض المجتمع شتى أشكال المقاومة والتمرد، وقام بمأسسة حرب الأنصار وجيوش الدفاع الشعبي، وخاض حروبًا دفاعية عظمى على أرضية التقاليد المسماة بالدفاع الذاتي

(54) "تقرير حقوق الانسان في سوريا لعام 2020، سفارة الولايات المتحدة الامريكية في سوريا"، (3 أيار/ مايو 2021) https://cutt.ly/Rmi8m6J

(55) د.م، "نساء الشمس" الإيزيديات... هل يهزمن داعش؟، موقع تجمع سوريات من أجل الديمقراطية، (2016)، https://cutt.ly/cmi8An7

(56) د.م، "إقليم المرأة الكردي في سوريا لم يحمِ نساءه من جرائم الشرف"، موقع https://cutt.ly/wmi8J94 ،DARAJ، (2017)

(57) دجلة حيدر، محاضرة عن الجيولوجيا لأستاذة مادة الجينولوجيا، https://cutt.ly/Smi8VrI

(58) الأبوجية. مصطلح كردي مرادف لمنتسبي العمال الكردستاني التركي. وكلمة آبو / العم دلالة رمزية لأوجلان.

وطيلة تطوره لآلاف السنين))[59]، ويعد الدفاع الذاتي المسلح المنهج الذي تبنى عليها الحضارة الديمقراطية، وهنا يكمن الخلاف والاختلاف بين أفكار أوجلان المؤيدة لشن الحروب بحجة الدفاع الذاتي ودفع المرأة الكردية إلى حمل السلاح والقتال، والمدارس النسوية الرافضة للأعمال القتالية وحمل السلاح. وربما يفسر لنا هذا ترفّعه عن ذكر أي من الفيلسوفات النسويات اللواتي ابتعدن كليًا عن عدّ السلاح وسيلة من وسائل الكفاح النسوي. وعندما يتحدث عن الإيكولوجيا يتجاهل أيضًا مؤسسات النسوية البيئية، من أمثال فرانسوا دي أوبون. كارين وارين، وكارولين ميرشانت، وماري دالي.

وفي سياق نقده الحركات النسوية يتهم (الفامينية) Feminism بالعقم وضياع البوصلة: ((قد يؤدي مصطلح الفامينية الذي يمكننا ترجمته إلى الحركة النسوية إلى مزيد من العقم نظرًا لبعده عن التوصيف الدقيق لقضية المرأة، فكأنه يعكس معنى يدل على أنها المرأة المسحوقة التابعة للرجل المهيمن وحسب.))[60] يبدو هنا أوجلان ميّالًا إلى صناعة أبستمولوجيا حول المرأة بمفرده، كونه يحمل المرأة وهمّها على كتفيه لوحده. في الوقت الذي ((برهنت فيه الفلسفة النسوية تأثير الذات الذكورية في العلم نفسه وأن التعددية يمكن أن تكون حتى في العلم الذي تلقيناه وأدركناه على أنه واحد))[61].

يبدو هذا الأمر واضحًا عندما يأتي على مقاربة وضعها على ما كان عليه قبل ثلاثة عقود ((حين دوّت حملة 15 آب 1984 بقوة ضمن الواقع الكردي ... كان قد بدأ يزرع الأمل في روح العشق اليائس. هذا وكان تدفق الفتيات أيضًا حماسيًا وجياشًا. ولأول مرة كنت أحتضنهن بفخر وإباء. فعدنا نلعب ثانية معًا، كنت أحملهن على أكتافي في بعض الأحيان، مطيحًا بخجل المرأة أرضًا))[62]، وعلى الرغم من أهمية هذه الشهادة الذاتية التي كتبها أوجلان في مديح العشق الذاتي، وانفتاحه على المرأة، كان يقيد العلاقات للمنتسبين/ات إلى الحد الذي يجعل حتى الأقارب في المعسكر التدريبي نفسه يخشون التواصل الطبيعي خوفًا من العواقب: فالمرأة راهبة ليس لها الحق في الحب: ((لم أتجرأ على التكلم مع ابن خالي خوفًا من العقاب... أتذكر كيف وبّخ أوجلان أحد المقاتلين من كوباني أمام الجميع، عندما لم يجد لنفسه مكانًا سوى بالقرب من فتاة مقاتلة مثله))[63].

(59) عبد الله أوجلان، سيسيولوجيا الحرية، زاخو شيار (مترجمًا)، (د.م: مطبعة آزادي، 2017)، ص 158-159.

(60) المرجع نفسه، ص 354-355

(61) ناهد بدوية، الخروج من العزلة، ص 39

(62) عبد الله أوجلان، مانبفستو الحضارة الديمقراطية، المجلد الخامس، ص 547

(63) "كرده بدرو، قيادية سابقة في حزب العمال الكردستاني"، مقابلة معمقة عبر زووم، سلسلة ندوات "المرأة والسلاح" أصوات نسوية كردية سورية، (26.02.2021).

تاسعًا: وجهات نظر نساء قريبات من دوائر الإدارة الذاتية

تنظر النساء القياديات في دوائر الإدارة الذاتية نظرة خالية من النقد إلى تجربتهن، ((... تجربة أولى تحققت على أرض الواقع، كل ما ورد في الأدبيات حاليًّا يتحقق في المناطق على أرض الواقع، المرأة كسبت إرادتها وشخصيتها وأصبحت واعية لحقوقها...))[64]. وبحسب مزاعم الإدارة الذاتية وصلت مشاركة النساء إلى نسبة 40 %، وطبق نظام الرئاسة المشتركة؛ رجل وامرأة، لذا من أجل فهم أعمق كان لا بد من معاينة الواقع والوقوف على الحقائق ضمن الحلقات القريبة لمؤسسات الإدارة الذاتية التابعة لـPYD. خلال إحدى الجلسات التشاورية للحركة السياسية النسوية[65] استطعت رصد بعض الآراء لنساء من (الرقة)، بعضهن شغلن مواقع ووظائف في جسم الإدارة الذاتية. رأت إحدى المشاركات أنه ((ليس هناك نساء قادرات على إثبات وجودهن ... المرأة وصلت في هذه المناطق إلى المشاركة في العمل العسكري ... للأسف حتى عندما تكون الرئاسة مشتركة تأتي الأوامر من الرجل الذي معها مع أن لها الحق أن تأخذ القرار))[66]، وتقيّم إحدى المشاركات تجربة الإدارة الذاتية بقولها: ((تجربتنا على الورق ناجحة جدًا، ويمكن أن تكون نواة لتطبق على كل سوريا، نحن تربية حزب البعث 70 سنة، الفكر البعثي مازال موجود... والتسلط موجود، هنالك أخطاء كارثية))[67]. بينما ترد إحدى المشاركات على سؤال "هل يناقض اتباع عسكرة النساء النسويةَ التي تنحى بعيدًا عن السلوك العنفي" قائلة: ((لولا تضحيات المرأة التي كانت في العسكرة لما كنا الآن على هذه الطاولة! نحن هنا بفضل تضحياتها. من المفروض أن يكون للمرأة دور في الجانب العسكري لأن العسكرة والسياسة تكمّل بعضها))[68]. وتعترض مشاركة أخرى على صيغة السؤال، فمن وجهة نظرها: ((أن تقف على خط الجبهة بالنسبة لي هو دفاع وليس عنفًا))[69]. في الوقت نفسه لم تخفِ مشاركات أخريات قلقهن من حالات البطالة والمخدرات والهجرة والانتحار في فئة الشباب، والتي تتزامن مع انتشار السلاح.

(64) لمى قنوت، المشاركة السياسية للمرأة السورية بين المتن والهامش، ط1، (د.م: اللوبي النسوي السوري، 2017)، ص 77.

(65) الجلسات التشاورية أو الاستشارات الوطنية في الحركة السياسية النسوية تتألف من قسمين، القسم الأول: جلسات مناقشة مركزة حول موضوع محدد بهدف صياغة ورقة سياساتية حوله، تحمل توصيات النساء ورؤيتهن، لنقلها إلى صناع السياسات المحليين والدوليين؛ القسم الثاني: يحتوي على جزء نظري يقدمه فريق الحركة حول الموضوع متبوع بمناقشة تفاعلية وتشاورية بين عضوات الفريق من الحركة والعينة المشاركة من النساء في داخل سورية ودول الجوار.

(66) "مشاركة1 من الرقة"، الجلسات التشاورية، (27.05.2021).

(67) "مشاركة 2من الرقة"، الجلسات التشاورية، (27.05.2021).

(68) مشاركة3 من الرقة، الجلسات التشاورية، (27.05.2021).

(69) "مشاركة 4 من الرقة"، الجلسات التشاورية، (27.05.2021).

عاشرًا: صورة المرأة الكردية من خارج دائرة PYD وPKK

للوصول إلى مقاربة نسوية جادة تعكس الصورة الفعلية لما يجري في المجتمع الكردي السوري على خلفية مزاعم تحرير المرأة الكردية، وتحررها، تلك الصورة التي يُروّج لها دوائر القرار السياسي الخاصة بالإدارة الذاتية التابعة لحزب PYD، وكرّسها الإعلام الغربي[70] مع تصاعد وتيرة مكافحة داعش، كان لا بد من أخذ رأي نساء كرديات يعملن في الوسط النسوي أو ينشطن في الحقلين السياسي والثقافي، وعلى دراية بتكوين المجتمع الكردي السوري من خارج منظومة الإدارة الذاتية. شملت عينة البحث مواقف 12 ناشطة كردية فاعلة للمشاركة في مناقشة ثلاثة محاور، استجبن لها كتابيًا.

1. هل ترين اليوم أن هناك تيارًا نسويًا كرديًا سوريًا واضح المعالم، وهل تظنين أن تجربة الإدارة الذاتية/ PYD في هذا المضمار نسوية أم ماذا؟

2. في السنوات الأخيرات دخلت المرأة الكردية في سورية المجال العسكري "وحدات حماية المرأة"، هل تعبّر هذه التجربة عن تطور حقيقي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمرأة الكردية؟

3. هل جرائم الشرف وباقي أنواع العنف الأسري حالات طارئة أم ظواهر متجذرة في موروث المجتمع الكردي؟

نفت المشاركات أغلبهن اعتقادهن بوجود تيار نسوي كردي سوري واضح المعالم. وألمحت القلة إلى أن ثمة مساعي في هذا الاتجاه، وأشرن صراحة ((ثمة أصوات نسوية منفردة منخرطة في الحراك السوري النسوي العام ولكن بدون هوية كردية مميزة))[71]. بينما أكدت إحداهن وجود هذا التيار، ولكنها في الوقت نفسه دللت على نقاط الضعف القائمة، وقالت إحدى المشاركات: ((رغم قِدَم نشوء المنظمات النسوية الكردية، إلا أنها جزءًا من الأحزاب السياسية وتابعًا لها، وتعمل تحت وصايتها، لم تستطع تشكيل تيار نسوي مؤثر بحد ذاته، يتبنى قضية المرأة كقضية مستقلة))[72].

وعن تجربة الإدارة الذاتية ومزاعم النسوية، أكدن غالبيتهن أنها لا يمكن عدها تجربة نسوية؛ ((نعم تجربة الإدارة الذاتية فتحت المجال أمام المرأة، لتحمل السلاح، وتكسر حاجز الخوف والصمت، ويرتفع صوتها وتتشبه أحيانا بالرجل"[73]، وتقاطعن على كون تجربة الإدارة الذاتية "لم

(70) **Jiyar Gol**, Kurdish 'Angelina Jolie' devalued by media hype, BBC news, (2016), https://cutt.ly/Imi7JMv

(71) صبيحة خليل، "مقابلة مع نوزت خليل"، (18.05.2021).

(72) صبيحة خليل، "مقابلة مع فدوى درويش"، (19.05.2021).

(73) صبيحة خليل، "مقابلة مع شمس عنتر"، (18.05.2021).

تأت لبلورة الحراك النسوي أو لتكون داعمة له، بقدر ما كانت استثمارًا للنساء بصورة مشابهة للاستغلال البطريركي))[74]، ووصفت إحدى المشاركات: ((تجربة الإدارية الذاتية هي نمط سياسي عسكري صارم وفي العمق ذكوري، مع شكل خارجي جذاب جدا))[75].

من جهة أخرى ذهبت وجهات نظر عدة إلى أنه ((حتى نسبة زواج القاصرات زادت عن المألوف بسبب خوف الأهالي من انخراط بناتهن في صفوف وحدات حماية المرأة وهو ما دعا قسم لا بأس من الكرد السوريين/ات إلى الهجرة بسبب الخوف من التجنيد الإجباري))[76]، بينما رأت إحدى المشاركات أن ((الحالة الكردية تبدو غريبة بعض الشيء، حيث تجد في المشهد حضورًا لافتًا وكثيفًا للمرأة، ولكنها مع ذلك وراء الكواليس معاناتها كمعاناة أي امرأة من مجتمع تحكمه العلاقات الاقتصادية الاجتماعية السياسية الأبوية))[77]، ((ولم تنتف الأبوية من الخلفية التي تتحكم بالمرأة رغم البروباغندا الإعلامية المصدرة للخارج، ربما ساهم الإعلام بشكل كبير في الترويج للعسكرة وتلك الأيديولوجية التي دفعت ثمنها النساء الكرديات أثمانًا باهظة))[78].

((من الناحية الاجتماعية تفسخت وتشتت القيم الأخلاقية في مجتمعنا في ظل هذه التجربة. النساء لم يكن متهيئات نفسيًا وتثقيفيًا ووعيًا لتلك الحرية، بل تسببت بنتائج سلبية كثيرة على المرأة نفسها بشكل خاص ومن ثم على الأسرة بشكل عام، من تلك الآثار التي خلفتها (مثلًا، بعض حالات انتحار الفتيات الصغيرات) أو قتلهن تحت مسمى انتحار بسبب عدم تهيئة الأسرة الكردية على العموم)).

((رغم أن البعض يستبشر أن القوانين التي أصدرتها الإدارة الذاتية قد تكون لصالح المرأة على المدى الطويل، إلا أن هناك من يرى أن تواجد المرأة مع الرجل في القيادة السياسية أو في الدوائر التابعة للإدارة الذاتية شكلي ومصنّع في مختبرات عسكرية ليتم استغلالها واستخدامها كأداة جذب للشباب للانضمام إلى تنظيماتهم العسكرية))[79] بهدف كسب التعاطف والدعم الدولي. بينما إحدى المشاركات عبرت عن رأيها بالقول: ((... هل هذه هي النسوية؟ أم هي تطرف يساري بزي ديني))[80].

(74) صبيحة خليل، "مقابلة مع نضال جوجك"، (22.05.2021).

(75) صبيحة خليل، "مقابلة مع ماريا عباس"، (18.05.2021).

(76) صبيحة خليل، "مقابلة مع نضال جوجك"، (22.05.2021).

(77) صبيحة خليل، "مقابلة مع مهوش شيخي"، (20.05.2021).

(78) صبيحة خليل، "مقابلة مع لمعة عيسى"، (23.05.2021).

(79) صبيحة خليل، "مقابلة مع منال الحسيني"، (19.05.2021).

(80) صبيحة خليل، "مقابلة مع زورين يوسف"، (19.05.2021).

وعن المحور الثاني وانخراط المرأة في العسكرة استهجنت الآراء معظمها العسكرة، وعبرت قلة عن رؤية مختلفة: ((المجال العسكري وانخراط المرأة فيه لا أعتبره تناقضًا مع مطالب المرأة في المساواة لأن حب الوطن والدفاع عنه ليس حكرًا على الرجال وحدهم.))[81] بينما أخريات وجدن في العسكرة والحرب فعلًا ذكوريًا بامتياز، ودخول النساء هذا المضمار ليس أكثر من تعزيز لذكورية المجتمع وعسكرته.

بينما رأت إحدى المشاركات أنه ((ما بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي الكردي السائد وبين راهن الحالة العسكرية البون شاسع بين المشهدين)).[82]

((تجربة الإدارة الذاتية معقدة جدًا إن كانت نسوية أو غير نسوية إذا قلنا أن النساء خرجن من عبودية المطبخ فهن ذهبن لعبودية العسكرة والمنهج العقائدي، والمختلف معهم لا يختلف معهم من حيث المبدأ بل فقط بحسب الأجندة الحزبية.))[83]

((بالنسبة للمقاتلات فهن ممنوعات من التعبير عن أنوثتهن، وأي تعبير أنثوي، سوف يقال عنهن أنهن غير جديرات بدورهن العسكري)).[84] في الأنوثة والعسكرة حارت إحدى المشاركات في تفسير فقدان الأنوثة، ولكن يمكن فهمه جيّدًا في سياق مقولة إحدى المقاتلات كانت برتبة قائدة طائرة في الجيش الأحمر السوفياتي، حين رفضت المقابلة، والتحدث عن تجربتها في الحرب، قائلة: ((لا يمكنني... لا أريد أن أتذكّر. قضيت في الحرب ثلاث سنوات ... وخلال سنوات ثلاث لم أشعر بنفسي امرأة. لقد تخشّب جسدي وتيبّس، بلا دورة شهرية، بلا أية رغبات أنثوية)).[85]

ولم تجد إحدى المشاركات في انخراط المرأة الكردية ضمن المجال العسكري أي تطور طبيعي وحقيقي، فالحرب السورية هي التي فرضت هذا الواقع، ولا تعكس الصورة التي رُوّجت لها، على الرغم من الإشادة والاحتفاء الذي لاقته من العالم كله، وربطت إحداهن تجربة حمل السلاح الفريدة والجديدة في المنطقة برمتها باحترام العالم صوتَ السلاح، ومنطق القوة العارية فقط، ((فهو ليس نتيجة لتطور المرأة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإنما نوع من التمرد على الظلم

(81) صبيحة خليل، "مقابلة مع حياة قجو"، (19.05.2021).

(82) صبيحة خليل، "مقابلة مع مهوش شيخي".

(83) صبيحة خليل، "مقابلة مع نوزت خليل".

(84) صبيحة خليل، "مقابلة مع لمعة عيسى".

(85) سفيتلانا أليكسييفيتش، ليس للحرب وجه أنثوي، نزار عيون السود (مترجمًا)، ط1، (دمشق: دار ممدوح عدوان للنشر والطبع، 2016)، ص 15.

الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الواقع على المرأة)).[86]

ولم تختلف المشاركات في توصيف العنف الممارس على المرأة الكردية بالعنف المتجذر، والمرتبط بالموروث الاجتماعي والعادات والتقاليد التمييزية، وتتشابه حال المرأة الكردية مع حال باقي النساء في المجتمعات المجاورة لهن.

ما يفنّد مزاعم المستشرقين بحسب رأي إحدى المشاركات: ((العنف الذي تتعرض له المرأة الكردية لا يقل عن مجتمعات الجوار حتى وإن أوحى ظاهرها على التحرر نسبيًا حيث أشاد بعض المستشرقين بذلك وباختلافها عن نسوة الجوار، ولكن أهل مكة أدرى بشعابها)).[87]

حادي عشر: الخاتمة

تبقى موضوعة النسوية والمرأة الكردية السورية والسلاح واحدة من الموضوعات التي أخذت حديثًا حيزًا من الاهتمام في الأوساط الكردية التي طالما أغلقت على نفسها الباب في ردة فعل على سياسات الإنكار والصهر اللذين مورسا بحق الكرد طيلة عقود طويلة. وعلى الرغم من أن بدايات ظاهرة المرأة الكردية المسلحة بشكلها المنظم تعود إلى أواخر ثمانينات القرن الماضي مع اكتمال تمدد العمال الكردستاني التركي بين كرد سورية،[88] إلا أنها لم تلازم المرأة الكردية سوى مع حرب داعش، وتفاقمت في المجتمعات المحلية الكردية مع المعاناة في خطف القاصرات، وتجنيدهن بأعداد كبيرة، والدفع بهن نحو جبهات القتال، وهذا ما يتعارض مع مفهومات النسوية وقضاياها، وسبل كفاحها اللاعنفي، علاوة على كون السلاح بحد ذاته خارج أدبيات الموجات والتيارات النسوية الحديثة. لكن تجربة PYD (الإدارة الذاتية) الشطر السوري من حزب العمال التركي تكاد لا تعير النسوية أي اهتمام، إذا ما تمت المفاضلة بينها وبين فلسفة عبد الله أوجلان التي خلعوا عليها ثوب القداسة. وهنا لا بد من تناول كتاباته بنظرة نقدية مستفيضة أكثر، خصوصًا أنه تكلّم عن النساء وقضاياهن أكثر من أي امرأة في التاريخ الكردي الحديث والقديم، ورسم مسارات حاضرها ومستقبلها وحده كرجل.

واللافت أن الاهتمام الكردي المستجد بقضايا النسوية واختلاطها بالعسكرة جاء في بدايته محض انعكاس لردات الفعل الغربية ذات النظرة الاستشراقية المليئة بالدهشة تجاه المرأة الكردية المقاتلة، وهي النظرة ذاتها التي صُدمت بمشاهد القتل والنحر على يد داعش، إلا أن كثيرات من الناشطات

(86) صبيحة خليل، "مقابلة مع فرحة خليل"، (20.05.2021).

(87) صبيحة خليل، "مقابلة مع منال الحسيني".

(88) "كرده بدرو، قيادية سابقة في حزب العمال الكردستاني"، مقابلة معمقة عبر زووم، سلسلة ندوات "المرأة والسلاح" أصوات نسوية كردية سورية، (26.02.2021).

الكرديات اكتشفن لاحقًا مرارة الحقيقة التي لم يعد بالإمكان تغطيتها عبر مسلسل تلفزيوني يصّور بطولات المقاتلات الكردية من إنتاج هيلاري كلنتون وابنتها، إنما من حقيقة أن دكّ الأسوار المجتمعية التقليدية العالية أمام المرأة الكردية أصعب من دكّ أسوار داعش. تلك هي الصورة الحقيقية التي يتجاهلها العالم، وتقفز من فوقها المنظومات الأيديولوجية الكردية، لا بل تعيد الاستثمار في كم الحيف الاجتماعي الذي يلحق بالمرأة الكردية، وتوظّفه لصالحها بطريقة براغماتية. من هنا لا بد من إجراء دراسات تتعلق بطريقة تعاطي الإعلام الغربي لموضوع المقاتلات الكرديات، ودوره في تسويقها بوصفها قصص نجاح للمرأة الكردية، مع تجاهل تام لقضاياها المزمنة أو عدها جزئية ثانوية لا تستحق الاهتمام يضاف إليها إليها عبء التجنيد الإجباري.

في النهاية، استلاب المرأة الكردية السورية لصالح السلاح فشل تتقاسمه النسويات الكرديات خصوصًا، والسوريات عمومًا، وعلى الجهتين تقع مسؤولية البحث عن تقاطع صور القمع الممارس على المرأة الكردية، ومستوياته: الجندرية، الطبقية، الأيديولوجية، العرقية. ومن ثم يقع قسط لا بأس به من المسؤولية على الحركة السياسية الكردية والمثقفين/ات منهم/ن، نتيجة ابتعادهم عن الاشتغال على الإرث الاجتماعي والفكري للمجتمعات المحلية الكردية، وتبجيل الموروث المجتمعي القومي بوصفه كتلة مقدسة لا يجوز نقدها أو المساس بها، الأمر الذي غيّب النظرة النقدية للتجربة تحت وطأة الأدلجة التي تصل إلى حد القداسة. لا بد من استكمال العمل البحثي الحثيث لإلقاء الضوء على الواقع الفعلي للمرأة الكردية وتشريحه بغية الوصول إلى توصيات عملية.

المصادر والمراجع

1. أليكسييفيتش، سفيتلانا، ليس للحرب وجه أنثوي، نزار عيون السود (مترجمًا)، ط1، (دمشق: دار ممدوح عدوان للنشر والطبع، 2016).
2. أوجلان، عبد الله، العصرانية الديمقراطية هي عصر حرية المرأة، أكاديمية عبد الله أوجلان للعلوم الاجتماعية (إعدادًا وتقديمًا)، (د.م: شبكة الجيوستراتيجي للدراسات، 2017).
3. مانيفستو الحضارة الديمقراطية، زاخو شيار (مترجمًا)، ط2، (د.م، مطبعة آزادي، 2014).
4. حول الأسلوب ونسق الحقيقة، أكاديمية عبد الله أوجلان للعلوم الاجتماعية (إعدادًا)، (د.م، د.ن، 2018).
5. كتاب مسيرة روما: السلسلة العربية 4، ط1، (د.م: منشورات صوت كردستان، 2002).
6. سيسيولوجيا الحرية، زاخو شيار (مترجمًا)، (د.م: مطبعة آزادي، 2017).
7. بدوية، ناهد، الخروج من العزلة، (بيروت: دار النايا، 2013).
8. زنكي، دلاور، روشن بدرخان حياتها وأعمالها، ط2، (قامشلو: مطبعة بيلا، 2021).
9. زيدان، يوسف، شجون عربية، ط1 (القاهرة: نون للنشر والتوزيع، 2016).
10. قنوت، لمى، المشاركة السياسية للمرأة السورية بين المتن والهامش، ط1، (د.م: اللوبي النسوي السوري، 2017).
11. مينورسكي، فلاديمير، الأكراد ملاحظات وانطباعات، معروف خزنه (مترجمًا)، (بيروت: دار رابطة كاوا للثقافة، 1987).